

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٣٦٩ : خ ١ - أحاديث نبوية تبدأ بكلمة (أفضل ١) ، خ ٢ - علم الوراثة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٥-١١-١٩٩١

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحده ، ونستعين به ونسترشد ، وننحوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهدى الله فلا مضل له ، ومن يضل فلن تجد له وليناً مرشدًا . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جد به وكفر . وأشهد أن سيدنا محمداً صلي الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر ، ما اتصلت عين بنظر ، أو سمعت أذن بخبر . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه وعلى ذريته ، ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين . اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا من ينتهيون القول فيتبعون أحسنها ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

قوانين النفس :

أيها الأخوة الأكارم ؛ ثمن الجنة العمل ، بل مفتاحها العمل الصالح ، وأساس العمل الصالح العلم . يقول الإمام الشافعي : إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم . ويؤكد العلم يكون الطريق الموصى إلى الله ، بل إن العلم هو الطريق الوحيدة للوصول إلى الله عز وجل . والعلم أنها الأخوة هدفه الأكبر أن تصل منه إلى القوانين ، والقوانين هي العلاقات الثابتة بين المتغيرات لأن القانون يمكن من التنبؤ .

أيها الأخوة الأكارم ؛ قوانين المادة يعرفها العلماء ، بينما قوانين النفس هي من اختصاص الحكماء ، ولو وقفنا وقفه متأثرةً عند قوانين النفس هذه النفس التي بين جنبيك ، هذه النفس التي هي أقرب الأشياء إليك ، بين جوانحك ، هي أنت ، أليس لها قوانين وسفن وقواعد وخصائص ومبادئ ؟ هل من علم يفوق أن تعرف مبادئ النفس وقوانين النفس ؟ طبيعة النفس ، خصائص النفس ، سنن النفس التي بين جنبيك ، التي تنوّق الموت ولا تموت ، خلقت لتبقى إلى أبد الآبدين ، إما في جنة يدوم نعيمها ، أو في نار لا ينفذ عذابها ، لو أردنا أن نتبع هذه القوانين من خلال الكتاب والسنة ، يقول ربنا سبحانه وتعالى :

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلُقَ هُلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جُزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مُنْوِعًا * إِلَّا الْمُصْلَّيْنَ﴾

[سورة المعارج: ٢٢-١٩]

هذه آية توضح بين أيدي الأخوة المؤمنين ، أحد قوانين النفس :

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً﴾

[سورة الإسراء: ١١]

قانون آخر ، خصيصة أخرى ، مبدأ ثابت من مبادئ النفس . خلق الإنسان عجولاً ، وخلق الإنسان ضعيفاً . فطرة الله التي فطر الناس عليها ، الفطرة النقية التي فطر الناس عليها أساسها حب الكمال ، أن تحب الكمال شيء ، وأن تكون كاملاً شيء آخر ، أن تحب الكمال هذه فطرة ، أما أن تكون كاملاً فهذه صبغة .

((يا داود ذكر عبادي بإحساني إليهم فإن النفوس جبت على حب من أحسن إليها))

[حديث قدسي رواه البيهقي عن عمير بن وهب]

أنا أعرض عليكم بعضًا من قوانين النفس كما وردت في القرآن الكريم ؛ أنت ضعيف وخلق الإنسان ضعيفاً ، وخلقت ضعيفاً لمصلحتك ؛ كي تفتقر بضعفك ، فتسعد بافتقارك ، ولو خلقت قويًا لاستغنيت بقوتك ، وشقيت باستغائك ، خلقت هلوعاً لتندفع بهلعاك إلى الله ، إلى باب الله كي تسعد بقرب الله ، ولو لم تخلق هلوعاً لاستغنيت عن الله فشقيت باستغائك . جبت على حب الإحسان ، لأنك مغمور بإحسان الله ، فلو تأملت قليلاً بما أنت فيه من نعم لمال قلبك إلى ربك منشئ هذه النعم .

الإنسان مفطور على حب الأكمل والأفضل والأحسن :

أيها الأخوة الأكارم ؛ ليس محور خطبة الحديث عن قوانين النفس ، ولكن الحديث عن قوانين النفس مقدمة إلى موضوع الخطبة .

نختار من هذه القوانين أن الإنسان مفطور على حب الأكمل ، على حب الأحسن ، حب الأفضل ، حب الأكثر ، حب الأمتن ، حب الأقوى ، حب الأجمل ، هذه طبيعة النفس ، ولو خيرت بين فتاتين تختار الأجمل ، ولو خيرت بين متزلين تختار الأوسع ، ولو خيرت بين عملين تختار الأكثر مردوداً ، والأقل جهداً ، ولو خيرت بين مركبتين تختار الأحدث والأمتن ، والأقوى . هذه طبيعة النفس ، بل إن الإنسان أحياناً ينزعج لا من خلل يصيب حياته بل من خلل يؤذى عينه ، فلو ركب لك عامل كهرباء مفتاح الكهرباء مائلاً ، لماذا تنزعج ؟ وماذا يؤثر هذا في حياتك ؟ المفتاح يعمل بفاعلية عالية ، ولكنه مركب مائلاً . فلماذا تنزعج من بلاط بلط لك البيت بألوان ليست متناسبة ؟ لأنك مفطور على حب الأمتن ، على حب الأجمل ، على حب الأمتن ، على حب الأقوى ، على حب الأطول ، وهكذا . لا أريد أن أستفيض في هذا الموضوع فهو موضوع بدائي .

العجب العجاب . . لماذا يختار الإنسان الأفضل في حياته الدنيا ولا يختار الأفضل في حياته الآخرة ؟ لماذا يريد البيت الأقوى الذي يفني منه جيل ؟ لماذا يختار المركبة الأقوى التي تقني عشرة أشخاص من بعده ؟ لماذا يختار الأفضل في دنياه ولا يختار الأفضل في آخرته ؟ لأن

الدنيا قصيرة ، تمر سريعاً ، تغر ، وتضر ، وتمر ، والذي يعيش عشرات السنين ، بل الذي يعيش ثمانين عاماً حينما يُسأل يوم القيمة كم لبنت في الدنيا يقول : لبنت يوماً أو بعض يوم . والنبي عليه الصلاة والسلام حيناً قال :

((يا أيها الناس إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء ، ودار ترح لا دار فرح، فمن عرفها لم يفرح لرخاء ، ولم يحزن لشقاء ، قد جعلها الله دار بلوى ، وجعل الآخرة دار عقبى ، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سبباً ، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً ، فيأخذ ليعطي ، ويبتلي ليجزي))

[الديلمي عن ابن عمر]

لماذا ترضى بمرتبة دنيا في الآخرة - هذا إذا كنت مؤمناً ، ومستقيناً وفي المباحثات ، لا في المعاصي والآثام - لماذا ترضى بمرتبة دنيا في الآخرة ولا ترضى إلا أفضل شيء في الدنيا إذا كنت غنياً ؟ لماذا لا ترضى إلا الأكمل ، والأفضل ، والأجمل ، والأقوى ، والأمن والأطول عمرأً ؟ لماذا ؟ هو هذا السؤال الخطير الذي بدأ به موضوع الخطبة ، نقص العلم يجعلك تؤثر الدنيا على الآخرة ، ضعف التأمل في حقيقة الدنيا يجعل الدنيا بين يديك ، والآخرة غائبة عنك ، إذا اخترت في الدنيا الأفضل ولم تختر في الآخرة الأفضل فهذا من ضعف اليقين ، وضعف التفكير ، وهذا من خلل العقل ، ومن عدم متابعة دروس العلم ، وهذا من الجهل .

أفضل أنواع الإيمان أن ترى أن الله معك :

والآن موضوع الخطبة مجموعة أحاديث شريفة تبدأ كلها بكلمة أفضل .
أيها الأخوة الكرام ؛ وفق طبيعة النفس ، ووفق جبلتها ، وسنتها ، وخصائصها ، ومبادئها ينبغي أن تتجه نحو الأفضل لا في دنياك ، بل في آخرك . يقول عليه السلام :
((أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت))

[أبو نعيم عن عبادة بن الصامت]

هذا أفضل أنواع الإيمان ، هذا عبر عنه النبي العدنان بمرتبة الإحسان . أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . هذا الذي يستشف من دعاء النبي عليه الصلاة والسلام : اللهم اجعلنا نخشاك حتى كأننا نراك ، أسعدنا بلقياك ، لا تشقا بالبعد عنك –

أيها الأخوة الأكارم ؛ كلمة دقيقة ، وخطيرة . كل يدعى الإيمان ، وما من مخلوق على وجه الأرض يعتقد أن لهذا الكون إلهاً خالقاً عليماً حكماً إلى آخره إلا وهو مؤمن . ولكن السؤال الدقيق هل يكفي هذا الإيمان للنجاة من عذاب الدنيا والآخرة ؟ هنا السؤال ، أي لا بد لكى تدخل إلى هذا المكان من ألف ليرة ، من ألف ليرة من المال ، وأنت معك مال ، ولكن معك ليرة واحدة ، إذا كان معك ليرة واحدة ، هل تكفي هذه الليرة لتصل بها إلى هذا المكان الرائع ؟ إلى هذا

القصر المنيف؟ المشكلة أن كل من يعتقد أن لهذا الكون إلهاً، يظن أنه مؤمن بإيماناً كافياً. لا والله، لا والله، لا والله.

إذا أردت أن أمثل لكم هذا بمثال . لو أن الإيمان رمز إليه بوحدة وزن ، مثلاً الغرام ، ولو أن الشهوات رمز إليها بوحدة وزن مثلاً الكيلو ، فلو وضعت في كفة عشرة غرام فيها إيمانك ، وفي كفة أخرى خمسة كيلو فيها شهواتك ، أيمكن لهذه الغرامات من الإيمان أن تقف في وجه هذه الشهوات ؟ لا والله ، ولا عشرين غراماً ، ولا ثلاثين ، ولا خمسين ، ولا مئة ، ولا مئتين ، ولا كيلو ، ولا أربع كيلو . إلى أن يصبح حجم إيمانك- إذا رمز للإيمان بوحدات وزن - خمسة كيلو، عندئذ يبدأ الصراع ، نقول : لا أفعل ، أفعل ، لا يجوز ، يجوز . متى تبدأ تحجم عن المعصية ؟ متى تتردد في فعل المعصية ؟ متى تقول هذه معصية ؟ متى تقول كيف أواجه ربى عند الموت ؟ هنا تقريباً صار حجم إيمانك ، أو وزن إيمانك ، بوزن شهواتك .

الإيمان المنجي أن تشهد أنه لا إله إلا الله :

فيما أيها الأخوة الأكارم ؛ أن تعتقد أن لهذا الكون خالقاً دون أن تسعى إليه ، أن تعتقد أن لهذا الكون رباً كريماً دون أن تترعرع إليه ، أن تعتقد أن لهذا الكون مسيراً حكيناً دون أن تبحث عن منهجه ، دون أن تسير إليه ، أن تعتقد أن الله عز وجل رحمن رحيم دون أن تتصل به ، أن تعتقد أن الله سبحانه وتعالى عفوًّا كريماً دون أن تتفوق حلاوة قربه .

والله الذي لا إله إلا هو هذا الإيمان بهذا المستوى لا ينجي ، لا في الدنيا ، ولا في الآخرة . ألم يقل إبليس اللعين لرب العالمين : رب فَبِعْزَتِكَ لَا يُغُوِّنُكَ أَجْمَعُينَ . ألم يعترف بأنه الخالق ، وبأنه رب ، وبأنه العزيز . وهو إبليس ، وهو الشيطان الرجيم ، وهو الذي عليه اللعنة إلى يوم الدين ؟

فيما أيها الأخوة الأكارم ؛ لماذا ترى أن نيل درجة علمية ، كاللسان ، والدكتوراه، يحتاج إلى بذل جهدٍ كبير ، وإلى سهرٍ طويل ، وإلى مطالعاتٍ كثيفة ، وإلى ذهنٍ متقد ، وإلى انصرافٍ كليٍّ إلى العلم ، وإلى ترك الملهيات ، وترك السهرات والندوات والحلقات ؟ أمن أجل شهادةً أمدتها قصيرة تسعى لها هذا السعي الحثيث ؟ ومن أجل جنةٍ عرضها السموات والأرض تقدّع عن طلبها وترضى منها باليسir ؟ فلذلك يقول النبي عليه الصلاة والسلام :

((الإيمان بضعٌ وسبعون شعبةً أدناها إماتة الأذى عن الطريق . . .))

[أخرجه الترمذى عن أبي هريرة]

هذا مصدق هذا التوجيه . أدناها أن تميّط الأذى عن الطريق ، أي إذا رأيت حبراً في الطريق وأزحته إلى جانب الطريق ، لو حلّنا هذا العمل بماذا يفسر ؟ يفسر أنك أردت أن تفعل خيراً لعل الله يرحمك بهذا الخير . هذا إيمان إذاً ، لو أ茅ت قشرةً من الفاكهة عن وسط الطريق إلى طرف الطريق ، أن تميّط الأذى عن الطريق مستوىً من مستويات الإيمان ، ولكنه لا ينجي ، وأعلاها

أن تشهد أنه لا إله إلا الله . لا أن تقول أن تشهد . أي هل يرضى القاضي من الشاهد أن يقول : يا سيدي والله سمعت أن فلاناً قتل فلاناً ؟ هل يسمى هذا شاهداً لا ، يقول له : هل رأيت بعينك ؟ فأعلاها أن تشهد أنه لا إله إلا الله ، فهل شهدت أنه لا إله إلا الله ؟ هل شهدت أن الله سبحانه وتعالى وحده المتصرف ؟ هل رأيت الله فوق أيديهم ؟ هل رأيت أنه ما من دابة إلا هو آخر بناصيتها ؟ هل رأيت أنه له الخلق والأمر ؟ هل رأيت أن الله خالق كل شيء ، وهو على كل شيء وكيل ؟ هل رأيت أنه لا يشرك في حكمه أحداً ؟ هل رأيت ؟ هذه آيات تقرؤها ، تقرؤها عشرات المرات ، هل رأيت حققتها ؟ هل عشتها ؟ هذا هو الإيمان الذي ينحي . لذلك ورد في بعض الأحاديث :

((لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا يُسْبِقُهَا عَمَلٌ وَلَا تُنْتَرِكُ ذَنْبًا))

[ابن ماجه عن أم هانئ]

لا يسبقها عمل صالح لأنه يوجد شرك . قال صلى الله عليه وسلم :

((أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الشَّرُكُ الْخَفِيُّ))

[الإمام أحمد عن شداد بن أوس]

ما الشرك الخفي ؟ شهوة خفية ، وأعمال لغير الله . أما إذا حصلت فلا تترك ذنباً.

نهاية العلم التوحيد ونهاية العمل التقوى :

أيها الأخوة الأكارم ؛ قال العلماء : نهاية العلم التوحيد ، ونهاية العمل التقوى . أي أعلى مرتبة علمية أنه تشهد أنه لا إله إلا الله ، وهذه الكلمة شعار الإسلام ، وأعلى مرتبة في العمل أن تتضبطن وفق أمر الله ، ونهيه .

نهاية العلم التوحيد ، ونهاية العمل التقوى . ولا تعجبوا ، فالله سبحانه وتعالى ضغط الأديان التي أنزلتها على أنبيائه كلها في كلمتين ، ليس الإسلام فقط ، الأديان كلها . قال :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾

[سورة الأنبياء: ٢٥]

إذا شهدت أنه لا إله إلا الله ، لا يوجد رافع ولا خافض ، ولا مُعز ولا مُذل ، ولا معطي ولا مانع ، ولا نافع ولا ضار ، ولا قابض ولا باسط ، ولا غني ، ولا قادر ، ولا حكيم . إلا الله . أنت عندما تدخل لمكان ، وتعرف أن الأمر كله بيد فلان ، تُعرض عن كل الموظفين الآخرين . التوقيع لا يوقعه لك إلا فلان ، وما سواه لا يقدمون ولا يؤخرون ، هل تلتقت إليهم ؟ هل تتتوسل إليهم ؟ هل تبشّ في وجههم ؟ علاقتك مع فلان ، فإذا أيقنت أن الأمر كله بيد الله ، إليه يُرجع الأمر كله ، أمر صحتك ، أمر قلبك ، أمر شرائبك ، أمر كل بيتك ، أمر عضلاتك ، أمر أعصابك ، أمر دماغك ، أمر معدتك ، أمر الغدد الصماء ، وغير الصماء ، والخلايا ، ونمو الخلايا بيد الله . وأمر أهلك ، وأولادك ، وجيرانك ، ومن حولك ، ومن فوقك ، ومن تحتك ، ورزقك ،

وتجارتك ، وصناعتك ، وزراعتك ، والمطر ، والإبات . إذا أتيقت أن الأمر كله بيد الله ، علاقتك أصبحت مع الله ، لذلك تتصرف عن الخلق إلى الحق . الإيمان أن تتصرف عن الخلق إلى الحق ، والشرك الخفي أن تتصرف عن الحق إلى الخلق هذا هو الأمر كله .

أفضل الدعاء أن تسأل ربك العفو والعافية في الدنيا والآخرة :

لازلت في كلمة أفضل . وأفضل الدعاء أن تسأل ربك العفو والعافية في الدنيا والآخرة . لذلك كان أكثر دعاء يدعوه النبي عليه الصلاة والسلام : " اللهم إنا نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة " العفو ، والعافية ، والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة . يؤكّد هذا دعاء النبي : " اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا " يؤكّد هذا قول سيدنا عمر رضي الله عنه كان إذا أصبته مصيبة قال : " الحمد لله ثالثاً ، الحمد لله إذ لم تكن في ديني ، والحمد لله إذ لم تكن أكبر منها ، والحمد لله إذ ألمت الصبر عليها " ، لو دعوت الله بالشفاء ، هذا الدعاء للمرضى ، لو دعوت الله بأن تكون غنياً ، هذا الدعاء للفقراء . أما الدعاء الذي ينطبق على الناس كلهم لا ينجو منه إنسان فهو هذا الدعاء : " اللهم ما رزقتي مما أحب - تحب المال ، جاءك المال . تحب زوجة تماماً عينيك منها ، جاءتك زوجة تماماً عينيك منها . تحب بيتك مريحاً ، جاءك البيت المريح . تحب رزقاً وفيراً ، جاءك الرزق الوفير - فاجعله قوة لي فيما تحب - أي يا رب اجعلني أوظف هذا المال لمرضاتك ، أفع به الناس ، أمسح به دموع البائسين ، أحلّ به مشكلة الشباب ، أدخل السرور على بيت الأرامل ، والأيتام ، أعالج مريضاً ذا مرضٍ عضال - اللهم ما رزقتي مما أحب ، فاجعله قوة لي فيما تحب ، وما زويت عني ما أحب " شيء تحبه ولم تصل إليه وهذا واقع ، ما منا واحد إلا وقد وصل إلى بعض ما يشتهي ، ويتمنى ، وزُوي عن بعض ما يشتهي ، وما يتمنى ، فالذي وصلت إليه ليكن يا رب موظفاً في خدمتك ، وخدمة عبادك ، وخدمة دينك ، وخدمة الدعوة إليك ، وخدمة أحبابك . فالذي فاتني يا رب وزويته عني لحكمة تعلمها ، ولمحبة لي . كما قال عليه الصلاة والسلام :

((إن الله يحمي عبده المؤمن من الدنيا كما يحمي أحكم مريضه من الطعام))

[الترمذى عن قتادة بن النعمان]

والذي فاتني يا رب ، والذي زويته عنى ، والذي حرمتني منه فيما يبدو . وقد قال ابن عطاء الله السكندريّ : ربما كان المنع عطاء ، وربما كان العطاء منعاً .

﴿لَا يَغْرِنَكَ تَقْلُبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾

[سورة آل عمران : ١٩٦-١٩٧]

دعاء سيدنا إبراهيم في القرآن :

﴿رَبِّ اجْعُلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾

[سورة البقرة : ١٢٦]

لكن سيدنا إبراهيم قال : من آمن منهم فقط باهله واليوم الآخر . فقال الله عز وجل: ومن كفر . أنا أرزق المؤمن والكافر .

﴿قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمِتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

[سورة البقرة : ١٢٦]

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثُوَّ لَهُمْ﴾

[سورة محمد: ١٢]

((لي عليك فريضة ، ولك عليك رزق ، فإذا خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك))

[ورد في الأثر]

أفضل الصدقة أن تشع布 كبدًا جائعة :

أيها الأخوة الأكارم ؛ أول حديث : أفضل الإيمان . . . والثاني : أفضل الدعاء .
الثالث : أن تشعع كبد جائع ، أفضل الصدقة أن تشعع كبدًا جائعة . قال عليه الصلاة والسلام:
((يا أيها الناس ، أطعموا الطعام ، وأفسحوا السلام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس
نیام ، تدخلوا الجنة بسلام))

[الترمذی والحاکم وصححه عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه]

لذلك قال عليه الصلاة والسلام :

((بئس الطعام طعام الوليمة - لماذا؟ - يدعى إليه الأغنياء ويترك المساكين))

[مسلم عن أبي هريرة]

أفضل الصدقة أن تشعع كبدًا جائعة . . . لذلك كان عليه الصلاة والسلام لا يحب المتباربين . من
هم المتباريان ؟ من يتنافسان في تقديم أطيب الأطعمة . أي الهدف أن تظهر الذوق الرفيع ،
والألوان الملونة ، والأطعمة الطيبة ، هذه أدواتك ، وهذا مستوىك ، وهذه مكانتك الاجتماعية .
كان عليه الصلاة والسلام لا يحب المتباربين . أفضل الصدقة أن تشعع كبدًا جائعة . . .

أعظم صدقة تفعلها أن تتعلم ثم تعلم :

أيها الأخوة الكرام : الحديث التالي وحده لو عقلناه لغير مجرى حياتنا .

((أفضل الصدقة أن يتعلم المرء علمًا ثم يعلمه أخاه المسلم))

[بن ماجة عن أبي هريرة]

أي أعظم صدقة تفعلها أن تحضر مجلس علم ، وأن تفقه تفسير هذه الآية ، وتفسير هذا الحديث
، وأبعاد هذه السيرة ، وأن تنقل هذا العلم الرفيع إلى إخوانك ، وأصدقائك ، وجيرانك ، وبناتك ،
ومن حولك .

((أفضل الصدقة أن يتعلم المرء علمًا ثم يعلمه أخاه المسلم))

[بن ماجة عن أبي هريرة]

على الإنسان أن يختار الأفضل في الآخرة كما يختار الأفضل في الدنيا :

أيها الأخوة الكرام : هناك أحاديث كثيرة أرجو الله سبحانه وتعالى أن أوضحها في خطبة قادمة .

((أفضل الأعمال بعد الإيمان التودد إلى الناس))

[الطبراني في الكبير في مكارم الأخلاق عن أبي هريرة]

((أفضل العيادة أجرًا سرعة القيام عند المريض))

[الديلمي في مسند الفردوس عن جابر]

((أفضل المسلمين إسلاماً من سلم المسلمين من لسانه ويده))

[ابن النجار عن ابن عمر]

إلى آخر الأحاديث .

أيها الأخوة الأكارم ؛ محور موضوع الخطبة ؛ كما أنك تختار الأفضل في الدنيا لعمر قصير ولحياة فانية ، ينبغي أن تختار الأفضل في الآخرة ، وهذه بعض أنواع الأفضل . أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت . يجب أن تصل إلى هذا المستوى حتى تتجو بإيمانك من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة .

أيها الأخوة الكرام ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا لغيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأماني ..

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

علم الوراثة :

أيها الأخوة المؤمنون : موضوع طويل لا حاجة لنا بتفصيلاته ، قوانين الوراثة ، قانون مندل في الوراثة ، لكن الشيء الذي لا أقول لا يصدق ينبغي أن يصدق . لأن النبي عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى . ينطق عن وحي يوحى ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام في بعض من الأحاديث الشريفة قرر النتائج العملية لقوانين الوراثة ، فكلكم يعلم أن الحوين والبوياضة خلية لها نوية عليها مورثات . وقد ذكرت لكم من قبل أن عدد هذه المعلومات التي تحتويها المورثات يزيد عن خمسة آلاف مليون معلومة ، حتى الآن عرف من هذه المورثات ثمانية مورث فقط ، هذه المورثات في الحوين تتفاعل مع المورثات في البوياضة ، وتتشاء البوياضة الملقحة ، من مورثات الحوين ، ومورثات البوياضة . وهذا ما عناه ربنا سبحانه وتعالى حينما قال :

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهُ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾

[سورة الإنسان : ٢]

يقول علماء الوراثة : إن التزاوج بين الأقارب من الدرجة الأولى الأخطاء في المورثات ، أو الضعف ، أو الأمراض ، أو العاهات ، تنتقل إلى الأجيال بنسبة خمسين بالمائة. من الدرجة الثانية تنتقل بنسبة اثنى عشر بالمائة . من الدرجة الثالثة ستة بالمائة . هذا التفسير العلمي وراء قوله تعالى :

﴿حَرَّمْتُ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ الَّتِي أَرْضَعْتُكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ﴾

[سورة النساء : ٢٣]

أما القرابة من الدرجة الثالثة التي يمكن أن ينحدر من خلالها العاهات والأمراض فقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام :

((اغتربيوا لا تضروا))

قال ابن الصلاح : لم أجد له أصلًا معتمدًا . قلت : إنما يعرف من قول عمر أنه قال لآل السائب "قد أضويمتم فأنكحوا في النوابغ" رواه إبراهيم الحربي في غريب الحديث ، وقال معناه تزوجوا الغرائب قال : ويقال : اغربوا لا تضروا [

كلما ابتعدت في اختيار الزوجة جاء النسل قويًا . ويقول عمر رضي الله عنه : " لا تنكحوا قرابة القريبة ، فإن الولد يخلق ضاويًا " أي ضعيفاً . أي ستة بالمائة . ويقول عليه الصلاة والسلام :

((تخيروا لنطفكم فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن))

[ابن عدي في الكامل وابن عساكر عن عائشة تصحح السيوطي : ضعيف]

والعوام يقول الطفل كخاله أو كخالتة . ويقول عليه الصلاة والسلام :

((اطلبوا مواضع الأκفاء لنطفكم فإن الرجل ربما أشبهه أخوه))

[رواية أبو نعيم عن أنس بلحظ تخيروا لنطفكم واحتتبوا هذا السود فإنه لون مشوه ، قال ابن الجوزي في سنته مجاهيل وقال الخطيب كل طرقه ضعيفة ، وفي التحفة والنهاية تخيروا لنطفكم ، ولا تضعرها في غير الأκفاء صحمد الحكم ، واعتراض]

ويقول عليه الصلاة والسلام :

((تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأκفاء ، وأنكحوا إليهم))

[ابن ماجة والحكم في المستدرك والبيهقي في السنن عن عائشة تصحح السيوطي : صحيح]

وهذا الذي يُعد من أرقى علوم الوراثة تحسين النسل . تحسين النسل يعني أن يأتي جيل يتمتع بقدرات عقلية عالية ، وبنية جسمية فائقة ، وبنفسية مفتحة ، غير متشائمة ، غير مريضة . هذا الذي عنده النبي عليه الصلاة والسلام . لذلك ابنك لك عليه واجبات كثيرة جداً ، وله عليك واجب ، له عليك حق ، هذا الحق أن تحسن اختيار أمه . أن تحسن اختيار أمه هذا أول حق من حقوق أولادك عليك قبل أن يأتوا إلى الدنيا ، ويستطيع الأب الذي اختار أمهم ، اختيار زوجته اختياراً أساسه التقوى ، والصلاح ، والعفة ، والذكاء ، والخلق ، أن يقول لأبنائه : يا أبني لقد أحسنت إليكم قبل أن تأتوا إلى الدنيا ، حينما اخترت لكم أمًا صالحة .

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((إياكم وحضراء الدمن قالوا : وما حضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء))

[الدارقطني عن أبي سعيد]

الإنسان قبل أن يختار زوجته ، أم أولاده ، شريكة حياته يجب أن يقف عند هذا الاختيار طويلاً ، ليطبق السنة النبوية .

((من تزوج المرأة لجمالها أذله الله ، ومن تزوجها لمالها أفقره الله ، ومن تزوجها لحسبها زاده الله دناءة ، فعليك بذات الدين تربت يداك))

[صحيح عن أبي هريرة]

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعالىت ، والحمد على ما قضيت ، نستغفر لك ونتوب إليك ، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك .

والحمد لله رب العالمين